



16 أكتوبر 2019 - 06:29

ناجي شراب

تعانى المنطقة العربية عموماً بعلاقاتها بالدول الإقليمية الطامحة والساعية للهيمنة والسيطرة على موارد المنطقة ومنافذها الإستراتيجية من إختلال في علاقات وموازن القوة ، هذه القوى الإقليمية تتجسد في محاولات إيران تحديداً للهيمنة والسيطرة على أهم المناطق الإستراتيجية في العالم وهي منطقة الخليج العربي بما لها من أهمية نفطية عالمية وإستراتيجية ، وتنتظر إليها إيران على أنها منطقة فراغ قوة ، وانها تشكل أو تقع في قلب مجالها الحيوى، ولذلك تحاول بكل قوة للحيلولة دون بروز أى قوة تحاول أن تبعدها عنها ، والمفارقة حتى لو كانت هذه الدولة من قلب منطقة الخليج كالسعودية الدولة المحورية والمؤثرة.

وهذا السلوك لا يمكن تفسيره إلا من خلال نظريتان تفسران لنا السلوك السياسى لدول القوة مثل إيران: النظرية الواقعية او نظرية القوة، ونظرية الحليف الإقليمي المهيمن والمسيطر .

وهذا ما ساحل ان أبداً به مقالة اليوم بـإيجاز. وهاتان النظريتان تفسران لنا سلوك إيران السياسى .تعتقد غيران ان هناك فراغ في القوة في منطقة الخليج، وان هذا الفراغ والذى يعود بنا إلى ما بعد قرار بريطانيا في السبعينات من القرن الماضى ، ووقتها لم تكن إيران من القوة العسكرية والإقتصادية بما يسمح لها أن تنافس قوى أخرى كالولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى . فضلاً انها كانت تدور في فلك الإستراتيجية الأمريكية ، وهو ما سمح لها بإحتلال جزر دولة الإمارات الثلاث، والإدعاء بالسيطرة على البحرين وإعتبرها احد ولاياتها .

هذه السياسة تظهر اليوم بشكل قوى بمحاولة إيران فرض سيطرتها على المنطقة ، وبدعمها لوكلائها الحوثيين في اليمن ، والحشد الشعبى في العراق وحزب الله في لبنان، وبذلك تحاول ان تكمل دائرتها من جميع الإتجاهات الجغرافية ، وإعتبر المنطقة منطقة امن ونفوذ إيرانية ، وما الإستهداف الأخير للسعودية العربية بضرب حقول النفط والقدرة الإنتاجية للسعودية إلا في إطار منع السعودية من ان تصبح دولة قوة ومعها دولة الإمارات ، فالإستهداف هنا لدور السعودية وقوتها المتنامية.

وبالعودة لنظرية القوة التي تؤمن بها إيران، وهي التي تعود بجنورها للمؤرخ الإغريقى ثيوسيديس قبل اكثر من الفى وخمسائة عام ، وخلصتها هذا الحوار الذى ينطبق على السلوك الإيراني بين سفير أثينا وسفير ميلوس : السفير الملىنى قال إن بلاده ستتصر لأنها مع العدالة. وأن ألأهه ستتصرهم، أما السفير الأثينى قال القوة هي التي ستتصر، والقوة انتصرت في الأخير ، وهو ما جعل المؤرخ الأغرقيقى في كتابه تاريخ حرب البيلونسيه أن القوة هي أساس العلاقات بين الدول ، وليس العدالة ، هذه النظرية تنطبق

على سلوك إيران كدولة قوة تؤمن بالقوة فقط في إدارة علاقاتها بالسعودية وبدول المنطقة ، ودائماً دول القوة تريد من الآخرين التبعية والتسليم بما تفرضه إرادة القوى. ومن منظور القوة أي محاولة للسعودية العربية ان تمتلك القوة وتحقق التعادل في موازين القوى في المنطقة يقابل من إيران بمحاولة الإجهاض وتفعيل دور وكلائها ، وهذا ما يقوم به الحوثيون من تسيير للطائرات بدون طائرات وضرب اهداف في داخل المملكة ، والفارق كبير بين السعودية التي تمارس حقها وتسعى للدفاع عن مصالحها القومية ، فالسعودية لجأت للأساليب الدبلوماسية والسلمية حتى الان في التعامل مع إيران لإيمانها بعدالة قضيتها وموقفها.

والنظرية الثانية التي تفسر لنا سلوك إيران باللجوء للقوة ما يعرف بنظرية المهيمن المسيطر ، ومقولتها الأساسية أن الدول لا تسعى لإحداث توازنات في القوة بين بعضها، وإنما تسعى لإختلال التوازنات في القوة لتصبح الأقوى نسبة لغيرها، عكس ما يقوله أنصار مدرسة القوة والواقعية اتلى تستند على توازنات القوة ، وهذه المقولة تنطبق على سلوك إيران أيضا ، فهي تريد أن تحدث تفوقا في القوة ليس فقط على السعودية بل على كل دول المنطقة خليجيا وعربيا. وتقوم نظرية المهيمن الإقليمي على ثلاثة أسس: أن الدولة هي الفاعل الرئيس في الساحة الدولية ، وكل دولة تمتلك قدرات هجومية، وأن الدول غير قادره على معرفة نوايا الدول الأخرى. والدول في سلوكها تخشى بعضها لعدم معرفة نواياها، ولا تضمن المساعدة من أي دولة أخرى، والحل الوحيد الدفاع عن بقائها لأنه الهدف الرئيس له، والمهيمن لا يستطيع أن يهيمن إلا على إقليمه، لأن الهيمنة تحتاج إلى قدرات عسكرية واقتصادية هائلة، وعقدة المهيمن أنه لا يريد ولا يسمح لأي قوة أخرى ان تهيمن على الإقليم. والسؤال هل تملك إيران القدرات العسكرية والإنتاجية أو الاقتصادية المؤهلة لها، قد تكون الإجابة في الجانب العسكري نعم، وهذا ما يفسر لنا نفقات إيران الهائلة على صنع السلاح ومحاولة إمتلاك القوة النووية ، لكنها في الجانب الإنتاجي لا تملك ما يسمح لها بهذا الدور ، وتنتظر بعدم الثقة لسياسات السعودية ومحاولاتها بناء قوة تكاملية مع الإمارات ومصر وتشكيل تحالف عربي قوى ، وأيضا لعلاقاتها التحالفية والإستراتيجية بالولايات المتحدة ، وغيرها من الدول كروسيا والباكستان والهند والصين. وتحكم العلاقات بينهما غياب الثقة ، والتشكيك في النوايا.

إيران تتبنى هذه النظرية فهي تسعى للإطاحة وإجهاض أي تنامي لقوة السعودية إدراكا منها بقوة السعودية الاقتصادية والنفطية والإسلامية ، وتسعى لإبعاد التواجد الأمريكي وهو ما يفسر لنا العلاقات المتوترة والتي تتدرج نحو التصعيد العسكري، إيران تعتبر المنطقة منطقة أمن فارسيه، ومنطقة نفوذ مغلقة لها، وهذا ما يفسر لنا التمدد الإيراني في اليمن والعراق وسوريا ولبنان. وهذا السلوك بلغة المصالح القومية لدول المنطقة يحولها لدول تابعة وهو ما ترفضه السعودية ودول المنطقة.

هذا هو الفارق بين ما نظرية المهيمن الصديق والمخلص الذي تتبناها دولاً كالسعودية والإمارات التي لم تقم أو تبادر بالإعتداء ، وبين نظرية المهيمن المسيطر التي تتبناها إيران وتقف وراء كل الهجمات التي تستهدف السعودية وغيرها من دول المنطقة.